جبل إلال بعرفات

تحقيقات تاريخية شرعية

تأليف

بكر بن عبد الله أبو زيد





جَبَلُ إِلَالٍ بِعَرَفَاتٍ

تَحْقِيقَاتٌ تَارِيخِيَّةٌ شَرْعِيَّةٌ

الطّبْعَة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

الصّف والإخراج دار العاصمة للنشر والتوزيع

دار العاصمة
المملكة العربيّة السّعودية
الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد وآله وصحبه..

أما بعد : فقد ألَّف جماعة من العلماء كتباً في فضائل يوم عرفة، وفي أذكاره، وفي حكم إحياء ليلته، منهم: ابن الجوزي، وابن ناصر الدين، والسيوطي، وابن طولون، والمرغني، والرشيدي، والدنوشري، وألَّف الفيروزآبادي رسالة باسم: «تعيين الغُرفات للمعين على عين عرفات». ومنها (نسخة في مكتبة برلين) ولا أدري هل هي في بيان حدود عرفات، أم في عين الماء فيها. ولم أر مَنْ أفرد الكتابة عن: (جبل إلال بعرفات) والذي اشتهر بعد باسم (جبل الرحمة)، مع ما للكتابة عنه من أهمية لا تخفى؛ لما علق به في قلوب العامة من البدع والضلالات والخرافات، والرعونات، على تطاول القرون الخاليات، بعد انقراض القرون المفضلات.

والعامة، لفظ مأخوذ من العمى، فلابد من دلالة عامة المسلمين على الهدى، ومجانبة ما يضرهم في الآخرة والأولى، ويصدهم عن قفو السُّنن وهدي الصحابة ومن لأثرهم اقتفىٰ، وليعلم أن أهل العلم في الماضين والحاضرين قد نصحوا، وأن ولاة الخير في الغابرين والحاضرين ممن بسط الله أيديهم، قد نَفَّذوا، وأن لولاة أمر الحرمين الشريفين حكام المملكة العربية السعودية، مآثر عظيمة في إقامة السنن، وتخليص المشاعر مما يشوبها من الضلالات والبدع، ثبتنا الله وإياهم على الإسلام والسنة.

لهذا فقد نظرت في قَدْرٍ مبارك من كتب التفسير، عند تفسير قول الله تعالى: ﴿فإذا أفضتم من عرفات﴾ الآية، من سورة البقرة، وفي كتب السنة والمناسك، والشروح، وكتب الفقهاء، متوناً، وشروحاً، وكتب السير، وكتب السنن والمبتدعات، وفي مادة (ألل)، وغيرها من كتب المواضع، وكتب اللغة، ولغة الحديث، واعتنيت بوجه خاص بكتب تاريخ مكة ـ حرسها الله تعالى ـ وبكتب الرحلات، متطلباً من

رحلة النظر في الجميع تحقيق النظر عن: (جبل إلال بعرفات) في الأبحاث الخمسة الآتية:

المبحث الأول: في بيـان صفة جبل إلال، وتعيين مـوقعه، وذرعه، والمعالم الباقية لما أحدث فيه.

المبحث الثاني: في أسمائه.

المبحث الثالث: في أنه لاذكر له فـي الرواية، ولا يتعلق به نسك يخصه.

المبحث الرابع: في تعييـن مـوقف النبي ﷺ بعـرفـات، وحكمه للناسكين بالحج.

المبحث الخامس: أنواع ما أُحـدث في الجبل والموقف من الأبنية والأقوال والأفعال وتاريخها.

خاتمة: فيها خلاصة ما تقدم.

والآن إلى بيانها:

المبحث الأول
في بيان صفته، وتعيين موقعه، وذرعه، والمعالم الباقية لما أحدث فيه

عرفات: بسيط من الأرض، فسيح، أفيح، مدكـوك بالرمل الأسفع الـدمث، وهـي من مشـاعر الحـج، واقعة فـي الحل، خارج حدود الحـرم، معلومة الحدود بسلاسل الجبـال شرقاً، وأنصاب مبنيـة من جهـاتها الثـلاث الأخرى، وتقع عـن مكة شرقـاً، وبينهما نحـو عشرين كِيْـلاً، ويقع في شرقيهـا: (جبل إلال)، وهو جبل معـروف عيناً بالتوارث، كما تُعـرف عرفات، وبقية المشـاعر بالتنـاقل والتوارث بين المسلمين، جيْـلاً بَعْدَ جِيل، لاسيما والحج منذ فرضـه الله تعالى على المسلمين لم ينقطع ولا عاماً واحداً، كَمـا حَقَّق ذلك المؤرخون، ومعلوم أنَّ النقل بالتـوارث من طرق الإثبـات، كما بينه العلمـاء، وحَرَّرَهُ ابـن القيم ــ رحمـه الله تعـالـى ــ في: «إعـلام المـوقعيـن»: ٢/ ٣٦٦ فقال: (وَأَمَّا نَقلُ الأَعيـان، وتعيين الأَماكن، فكنقلهم

الصَّاع، والمدَّ، وتعيين موضع المنبر، وموقفه للصلاة، والقبر، والحجرة، ومسجد قباء، وتعيين الروضة، والبقيع، والمصلى، ونحو ذلك.

ونقل هذا جار مجرى نقل مواضع المناسك كالصفا والمروة، ومنى، ومواضع الجمرات، ومزدلفة، ومواضع الإحرام كذي الحليفة، والجحفة وغيرهما. فهذا النقل وهذا العمل حجة يجب اتباعها، وسنة متلقاة بالقبول على الرأس والعين...) انتهى.

وأَمَّا ما في «أخبار مكة» (٥/ ١٢ ـ ١٣) للفاكهي (ت) بعد سنة ٢٧٢، بسنده: أن هشام بن عبدالملك، أمر ابناً له أن يقف بالناس على: (إلال) فلم يدر ما (إلال)، وسأل الزهري فلم يدر؟ حتى سأل فتى عراقيًّا، فأجاب: إنه جبل عرفة. فسنده معضل، وفيه متروك أيضاً فلا يعول عليه.

وبدون إسناد ذكره البكري في «معجم ما استعجم» (١/ ١٨٥)، في سياق آخر، وذكر أن اسم المجيب: أبو بكر الهذلي.

وإنه في صيف هذا العام، الذي أقيد فيه هذه الأَحرف

عن: (جبل إلال) سافرت من الطائف إلى عرفات، ومعي الشيخ يحيى بن عبدالله الثمالي، وذلك في فجر يوم السبت ١٧/ ٤/ ١٤١٧. وبالحضور والمشاهدة، والتأمل والمعاينة لهذا الجبل: (جبل إلال) أقَيِّدُ الآتي: عن صفته، وموقعه، وذرعه، وماذا عليه من بناء ونحوه:

أما صفته: فهو جبل صغير لاطئ، مُتطَامِنٌ بالنسبة لما يحتضنه من الجبال الشامخة شرقاً، ويتكون من حجارة صلدة كبيرة، متقطعة، متراكم بعضها على بعض، ليس جبلاً صلْداً أصَمَّ ولا دِقاقاً هَشًّا.

وبهذا تعلم غلط بعض من وصفه من المتقدمين بأنه: (جبل صغير من رمل)، مثل ابن حبيب كما في: «اللسان»: ١١/ ٢٧، وأبي عبيد، كما في: «ملء العيبة»: ٥/ ٩٠، وفي: «معجم ما استعجم» للبكري: ١/ ١٨٥، وفي: «تاج العروس»: ٧/ ٢١٢، وغيرها.

ولما ساق ابن رُشيد في: «ملء العيبة»: ٥/ ٩٠ قول أبي عبيد ونصه: (قال أبو عبيد: إلال بكسر أوَّله على وزن: فعال،

كأنه جمع: ألَّـه: جبل صغير من رمل عن يمين الإمـام بعرفة).

قال ابـن رُشيد ـ ٥/ ٩٢ ــ: (وهذا الذي قـاله أبو عبيـد، ونَقَلَهُ كله صحيح، إلاَّ قوله: إنه جبـل رمل، فليس كذلك، وإنما هو: جبل مرتفع من حجر صَلْدٍ، وقـد نبتت منه أجبل، بعضها أكبر مـن بعـض، يسمى بعضهـا (النبعــة) وبعضهـا: (النبيعـــة) بالتصغيـر، جَرْيـاً على خيـالات العرب في تسميـاتها، كـأنما نبعتا منه. ولـم نجد من يعينهما، لكن التسميـة تُشْعرُ بتعيينهما من جملـة تلك الأحجار والصخـور الكبار التـي هنالك، كمـا تعين النـابت منها؛ لأنه ضـرس قائم، والصخـرات التي بإزائه يمكن الصعـود عليها، وإن تُكُلِّفَ في بعضهـا إلى أن يحصل الصعود، فتكون محلاً حاملاً للراكب، والراجل، وبإزائها قطع من أجبل في الرِّمال، لا يمكـن الصعود عليها، منفصل بعضها عن بعـض، وأمـا هـذه الصخرات فقـريبـة الاتصـال بعضهـا ببعض) انتهى.

قلت: وقد حصل لي ـ بحمد الله ـ تعيين: (النبعة) و(النبيعة) و(ذات النابت) في: «مبحث تعيين موقف النبي ﷺ».

وأما موقعه: فهو في شرق عرفات، في ظلال: (جبل سعد) الـرابـض في وسـط سلسلـة جبـال ممتـدة من الشمـال إلـى الجنـوب، كصف المَـأمـومين، ومـن خلف جبـل سَعْـد إلى الشمـال، تبدو ذرى (جبـل كبكب) المحيط بسهـل المغمس من الشرق إلى الشمـال، والذي في أحد شعابـه يقع سوق ذي المجـاز، المشهور. وهـو، أي: (جبـل إلال)، منقطع عن هـذه الجبال، قائم كـالإمام في البسيط والوسيط مـن أرض عرفات، فهـو في وسط سهـل حدهـا الشـرقي كمـا أن (مسجد نمـرة) كذلك في وسط حدهـا الغربي، فإنك إذا صعدت جبل إلال، وجعلـت وجهك إلـى القبلـة رأيت: (مسجـد نمـرة) علـى حاجبك الأيسر، على بعُد نحو ألف متر من هذا الجبل.

وَأَمَّا ذَرْعُـهُ فقد قُمـت بذرع هذا الجبـل، ارتفاعـاً، وطولاً، وعرضاً ، من جهاته الأربع كالآتي:

يبلغ ارتفـاعـه، نحـو (٦٥) متـراً من سفحـه جنـوبـاً إلى سطحـه، وهذا يخـالف مـا ذكره صـاحب: «مـرآة الحـرمين»: ١/ ٤٤، إذ قال: (ارتفاعه قريب من ٣٠ متراً)، وقَلَّدَه في ذلك

ونقله عنه الكردي في: «التاريخ القويم» ٦/ ٤١، ولم يتعقبه بشيء صاحب: «جغرافية شبه جزيرة العرب» ـ ص ١٥٠ ـ وَلَعلَّهُ تقدير، لا أنهما قاما بتمتيره، إذ هو غلط كما هو مشاهد.

وقالا أيضاً: (وطوله ٣٠٠ متر). وهو غلط أيضاً، فقد قمت بتمتيره فبلغت أطواله كالآتي:

جنوباً من الشرق إلى الغرب، بانحناء إلى الشمال، نحو: (١٧٠) متراً، وشمالاً نحو: (٢٠٠) متر، وغرباً نحو: (١٠٠) متر، وشرقاً نحو: (١٧٠) متر، فصار محيطه نحو: (٦٤٠) متراً.

وَأَمَّا ما عليه من إضافات فهي كالآتي :

١ ـ الدرج: يوجد في الجهة الجنوبية درج يبدأ من مستوى الأرض إلى سطح الجبل، بعدد: (١٦٨) درجة، وهي من مستوى الأرض: (ست وعشرون درجة بعرض ٥ , ٢تقريباً)، وبسط كل درجة طول القدم، مبنية من الأسمنت، ثم بعدها للصاعد بسطة بنحو عشرة أمتار، مرصوصة بالحجارة والأسمنت، ثم درج يبلغ (١٤٢) درجة، بسط كل درجة متفاوت: متر فأقل، أو أكثر، فصار المجموع:

(١٦٨) درجة.

٢ ـ **يحيط بالدرج**: عن يمين الصاعد جدار مبني بالحجر والآجر، مطلي بالنورة البيضاء، بعرض متر، متفاوت الارتفاع، نحو متر فأقل، وعلى يسار الصاعد بعد صعود: (٥٢) درجة: جدار مسلح بارتفاع نحو نصف متر ممتد إلى أعلى.

٣ ـ **سطح الجبل**: يتكون من مدرجين: مدرج بنحو ٥٠ م في ١٥ م، ثم فوقه آخر بارتفاع نحو ٣٠ سم متفاوت المساحة بنحو ١٠م.

٤ ـ **الشاخص**: على رأس هذا الجبل في وسط سطحه: (شاخص) مُرَبَّع مطلي بالنورة البيضاء بارتفاع ٨م، وعرض ٨٠ سم، ١م من كل جهة، وفي أعلى كل جهة مسامير، كانت معدة لتعليق القناديل.

٥ ـ **مجرى الماء**: في علُوّ سفح الجبل الجنوبي، يبدأ من بعد الدرج غرباً، مجرى الماء، مستمرًّا إلى نهاية الحد الجنوبي غرباً، ثم يحيط بالحد الغربي للجبل، ثم يحيط بالحد الشمالي للجبل إلى قرب نهاية الحد، وهو مبني من

الطوب الأَحمر والآجر مرصوص ظـاهره بالحجارة المبنية، وفيه فتحـات للتنظيف، وأخـرى لِغَـرْفِ المـاء، وهي الآن مغلقـة، سـوى المجـرى الجنـوبي، فهـو متهـدم لـم يبق إلا أسـاسـه، ويتخلل هذا المجـرى: درج بارتفاع المجـرى، في الجهتين: جنـوباً، وغـربـاً، لعلهـا لتسهيل الصعـود للتنظيف، واغتـراف الماء.

٦ ـ **سـور**: من الطـوب والأسمنت، بعـد سطح المجـرى بقليل، بارتفـاع نحو مترين، بدايتـه من بداية المجـرى جنوباً، حتى منتصف الجهة الغـربية تقريباً، لعلـه بُني ليمنع الحجاج من استخدام هذه الدرجات لصعود الجبل.

٧ ـ **الصهاريج والحيـاض**: بعـد بضعة أمتـار مـن سهل الجبل جنـوبـاً عن يمين النـازل من الجبـل، يوجـد صهـريج للمـاء، مرتفـع بنحو ٣م مـا زال قـائمـاً، وفي الجهـة الغربيـة صهريج آخر كذلك.

٨ ـ **مصطبة على يمين الصاعد**: يوجد على يمين الصاعد في سفح الجبل جنوباً مصطبة مفروشـة، محاطة بجدير قصير،

نحو نصف متر، وهي التي تسمى: (مسجد الصخرات).

٩ ـ **الشَّجَر**: لم نر على الجبل شجرة قط، لكن في سفحه بعد المجرى، ويحيط به من الجهات الأربع: شجر مغروس يُسمى: (شجر النِّيْم) لعله بعد عام ١٤٠٠.

١٠ ـ **رشاشات الماء**: يحيط بالجبل من الغرب في السهل، وفوق سطح المجرى أنابيب منصوبة بارتفاع نحو ٤م، وفي أعلاها أنابيب متحركة لرش الماء وقت الوقوف؛ لتخفيف حرارة الشمس عن الصاعدين للجبل، والواقعين عنده من الحجيج، وكان نَصْبُ هذه الرَّشاشات عام ٤١٤.

هذا كل ما تمت مشاهدته حال وقوفي مما هو ظاهر للعيان، والله المستعان.

المبحث الثاني: أسماؤه :

من أسماء الأماكن التي ورد ذكرها في القرآن الكريم: (عرفات)، كما في آية سورة البقرة: ﴿فإذا أفضتم من عرفات﴾ وفي السنة أحاديث كثيرة باسم: (عرفة) و(عرفات)، وبه تعلم أن قول الفَرَّاء (وقول الناس: اليوم يوم عرفة: مُوَلَّد ليس بعربي محض) غير صحيح، بل هو عربي فصيح، وقد تعقبه ياقوت وغيره.

وهذا الجبل لم يأت له ذكر قط في السنة المشرفة، ولهذا قرر غير واحد أنه لم يثبت في خصوصه ولا فضله حديث ولا أثر.

وبالتتبع حصل أن اسمه الذي سمته به العرب هو (أَلال) على وزن (سَحَاب)، وعليه الأكثر، أو على وزن: (هِلال)، كما في كثير من أخبار العرب وأشعارها.

وجاء في روايات عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أسندها الفاكهي، والطبري، وغيرهما، ذِكْرُهُ باسم: (جبل عرفة).

وأقدم نص وقفت عليه في ذكره باسم: (جبل الرحمة)، هو في رحلة ناصر خسرو (ت) سنة ٤٤٤، المسماة: «سفرنامه»، ثم هو منتشر بعد في كتب الفقهاء والعلماء من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم.

وذكر الماوردي الشافعي في: «الحاوي» اسم: (جبل الدعاء) والماوردي ولد سنة ٣٦٤، وتوفي سنة ٤٥٠، وحرر المحب الطبري أن هذا إطلاق من الماوردي على موقف النبي ﷺ وَرَجَّح المحب الطبري الشافعي (م) سنة ٦٩٤، (ت) سنة ٧٦٧، ما ذهب إليه ابن الصلاح في: «منسكه». من أن قول جابر ـ رضي الله عنه ـ في وصف موقف النبي ﷺ بعرفة: (وجعل حبل المشاة بين يديه)، أنه بالجيم: (جَبَل المشاة) وأنه هو: (إلال). وهذا لم يوافقه عليه أحد، وتعقبه ابن جماعة في «المناسك» فقال: (وفيه نظر).

وذكر ابن أبي الصيف الشافعي المتوفى سنة ٦٠٩، أن اسمه: (كبكب). وهذا مردود فإن (جبل كبكب) في أعلى وادي نعمان، وقد تعقبه بذلك المحب الطبري.

وتُسميه بادية نجد باسم: (القُرين) ـ بضم القاف ـ، والقرين عند العرب اسم: الجبل الصغير، كما في «القاموس» لا أنه يخص هذا الجبل، و(القرن) اسم جبل مطل على عرفات.

هذه سبعة أسماء تحصل لي إطلاقها على هذا الجبل، في قديم الدهر وحديثه، وهي جبل: (إلال)، (عرفة)، (الرحمة)، (الدعاء)، (جبل المشاة)، (كبكب)، (القُرين)، وتوثيقها هو كالآتي:

١ ـ **جبل إلال**: وزن: (هلال)، أو (سَحاب)، وهو اسمه عند العرب، نص على ذلك غير واحد من أهل اللسان في مادة (ألل)، وغيرهم، منهم: الجوهري في: «الصحاح» ٤/ ١٦٢٦ وابن منظور في: «اللسان» ١١/ ٢٧ والزبيدي في: «تاج العروس» ٧/ ٢١٢ ـ وياقوت في: «معجم البلدان» ١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣ والصفي القطيعي في مختصره: «مراصد الاطلاع» ١/ ١١٠ والمحب الطبري في: «القِرَى» ص/ ٣٨٦ والأزرقي في: «تاريخه» (٢/ ١٩٤)، وابن رُشيد في رحلته: «ملء العيبة» ٥/ ٨٧، وخلق آخرون، وأنشدوا من كلام العرب

قول أبي طالب في لاميته المشهورة:

وبالمشعر الأقصى إذا قصدوا له
إِلَالاً إلى تلك الشراج القوابل

وقول نابغة ذبيان :

بمصطحبات من لصاف وثبرة
يزرن إلالاً سيرهن التدافع

ونقل البكري في «معجم ما استعجم» ــ ١/ ١٨٥ ـ قوله: (وفي البارع: إل: جبل بعرفات) هكذا ذكره بلفظ المفرد، على وزن فِعْل) انتهى.

لكن صاحب «القاموس» وَهَّم من ضبطه بوزن: (خِل) بكسر الخاء، وتعقبه الشارح في: «تاج العروس»: ٧/ ٢١٣، بوروده عن أئمة اللغة. والمشتهر في أشعار العرب: (إلال)، ونقل ابن رُشَيْد في: «ملء العيبة» ٥/ ٩١ قول: «البارع» وتعقبه.

وجملة كلامهم أن: (الإلاَّ)، هو جبل عرفة نفسه، لكن ياقوت، والصفي القطيعي في مختصره له، والزبيدي، ذكروا

قولين آخرين، فصارت الأقوال ثلاثة في مسمى: (إلال) هي:

١ ـ جبل عرفة نفسه.   ٢ ـ جبل عن يمين الإمام.

٣ ـ جبل رملي بعرفات يقوم عليه الإمام، ونسبه الزبيدي لابن دريد، ولابن حبيب: محمد بن حبيب اللغوي النسابة (ت) سنة ٢٤٥، كما نسبه إليه المحب الطبري، وبه قال البكري ونسبه أيضاً لصاحب: «البارع»، وظاهر أن القول الثاني يرجع إلى الأول؛ لأن الذي يقف موقف النبي ﷺ عند الصخرات، ويجعل حبل المشاة بين يديه، يكون (جبل إلال)، عن يمينه، وهذا واضح عن مشاهدة وعيان.

وأما القول الثالث، فإن كلاً من المحب الطبري، والزبيدي، حكى قول ابن حبيب، ومن سياقه يعلم تصحيحه.

قال المحب: (وذكر ابن حبيب أن إلالاً: جبل من الرمل يقف الناس به بعرفات عن يمين الإمام. حكاه عنه أبو عمرو عثمان بن علي الأنصاري في تعاليقه على الجوهري) انتهى.

وقال الزبيدي: (قال ابن جني: قال ابن حبيب: (إلال): جَبَلُ رَمْلٍ يقف به الناس من عرفات عن يمين الإمام. وقد

جاء ذكره في الحديث وعجيب من المصنف إنكاره فتأمل) انتهى.

والذي جاء ذكره في الحديث من حديث جابر عند مسلم ـ كما تقدم ـ هو ذكر موقف النبي ﷺ وهو المسمى عند العرب: (النابت) أو (ذات النابت) ضرس من جبل يكتنفه رمل مرتفع، سمي بذلك لنبوته فوق الأرض.

وقول ابن حبيب: عن يمين الإمام. لا ينطبق إلا على جبل إلال، فأنت ترى كيف اختلط عليه وصف الموقف الذي هو بجانب إلال جنوباً، بالجبل: جبل إلال، فعادت الأقوال بعد تصحيحها إلى القول الأول وهو الذي ينبغي اعتماده، وعدم العدول عنه، والله أعلم.

وأما أنه من (رَمْل)، فغلط قطعاً، ومضى في المبحث الأول، بيان غلط من قال به.

٢ ـ **جبل عرفة**: فقد ورد ذكره في أثر ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: (أصل الجبل الذي يلي عرفة وما وراءه موقف، حتى يأتي الجبل: جبل عرفة) رواه الطبري في: «تفسيره»:

٤/ ١٧٤ ـ ١٧٥ بسنده قال: حدثنا المثنى، قال: حدثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن زكريا بن أبي نُجيح، عن مجاهد، قال ابن عباس، فذكره.

ورواه الفاكهي في: «أخبار مكة» ٥/ ٨ بسنده عن ابن عباس، لكن فيه ابن زبالة، وهو متروك.

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية، فإنه كان يستعمل هذا الإطلاق في كتابه باسم: (جبل عرفات)، كما في: «الفتاوى» ـ ٤/ ٥٢١، ٢٧/ ١١ بلفظ: (القبة التي فوق جبل عرفات) في معرض النهي عن الطواف بها.

٣ ـ **جبل الرحمة**: أقدم نص رأيته في إطلاقه هو قول الرَّحَّالة ناصر خسرو المولود سنة ٣٩٤، والمتوفى سنة ٤٤٤، وقيل: سنة ٤٥٤، في رحلته المسماة: «سفر نامه» إذ قال: «ورأيت في سفح جبل الرحمة أحواض مياه...). ثم قال: (كما رأيت فوق جبل الرحمة...).

ثم التعبير به منتشر بعد في كتب التفسير، والشروح، والمناسك، والفقه في المذاهب الأربعة، وغيرها.

قال النووي - رحمه الله تعالى - في: «المناسك» ص/ ٣١٣: (والجبل الذي بوسط عرفات المسمى بجبل الرحمة) انتهى.

وقال ابن كثير (ت) سنة ٧٧٤ - رحمه الله تعالى - في: «التفسير» ١/ ٢٤١: (ويقال للجبل في وسطها: جبل الرحمة، قال أبو طالب في قصيدته المشهورة، فذكره) انتهى.

وقال الزمخشري ت سنة ٥٣٨ - رحمه الله تعالى - في «الكشاف» ١/ ٣٤٨: (وقوله تعالى: ﴿عند المشعر الحرام﴾، معناه: مما يلي المشعر الحرام قريباً منه، وذلك للفضل، كالقرب من جبل الرحمة) انتهى.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ - رحمه الله تعالى - في: «الفتاوى» ٢٦/ ١٣٣: (وعرفة كلها موقف، ولا يقف ببطن عرنة، وأما صعود الجبل الذي هناك فليس من السنة، ويسمى: جبل الرحمة، ويقال له: إلال، على وزن هلال...) انتهى.

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - المتوفى سنة ٧٥١،

في: «مفتاح دار السعادة» ٢/ ٨٧ ــ ٨٨، في حكمة خلق الله الجبال، بعد أن ذكر بعض الجبال: الجبل الذي كلم الله عليه موسى، والجبل الذي تَجَلّى له ربه فَسَاخَ فتَدَكْدك، وجبل أحد، والجبلان اللذان جعلهما الله سوراً على بيته، وشرع السعي بينهما، قال: (ومنها: جبل الرحمة المنصوب عليه ميدانُ عرفات، فلله كم من ذنب مغفور، وعثرة مقالة، وزلة معفو عنها، وحاجة مقضية، وكربة مفروجة، وبلية مدفوعة، ونعمة متجددة، وسعادة مكتسبة، وشقاوة ممحوة! كيف وهو الجبل المخصوص بذلك الجمع الأعظم، والوفد الأكرم، الذين جاؤوا من كل فج عميق، وقوفاً لربهم مستكينين لعظمته، خاشعين لعزَّته، شعثاً غبراً، حاسرين عن رؤوسهم، يستقيلونه عثراتهم، ويسألونه حاجاتهم، فيدنو منهم، ثم يباهي بهم ملائكته.

فلله ذلك الجبل، وما ينزل عليه من الرحمة، والتجاوز عن الذنوب العظام) انتهى.

تنبيه : في: «رحلة التجاني» ص/ ٣٧٧ تحقيق/ حسن

حسني عبدالوهاب: (أن التجاني عبدالله بن محمد صاحب هذه الرحلة مات سنة ٦٢٥، ودفن بجبل الرحمة بتبرسق في المغرب) انتهى.

٤ ـ **جبل الدعاء**: لم أر هذا الإطلاق لغير الماوردي الشافعي المتوفى سنة ٤٥٠ ـ رحمه الله تعالى ـ في كتاب: «الحاوِي»، ونقله عنه المحب الطبري في: «القِرَى» ص٣٨٦ ـ ٣٨٧، وتعقبه فقال: (قال ـ الماوردي ـ : والذي نختار في الموقف أن يقصد نحو الجبل الذي عند الصخرات السود، بحيث يعلو، وهو الجبل الذي يقال له: جبل الدعاء، وهو موقف الأنبياء ـ عليهم السلام ـ والموقف الذي وقف فيه رسول الله ﷺ، وهو من الأجبل الثلاثة: النبعة والنبيعة، والنابت، وموقفه ﷺ كان على النابت منها، وهو عند النشز الذي خلف مقام الإمام، ووقف ﷺ على ضرس من النابت، وجعل بطن ناقته إلى الصخرات، وجعل حبل المشاة بين يديه، قال ـ أي الماوردي ـ : وهذا أحب المواقف إلينا للإمام والناس.

قلت ـ أي الطبري ـ: وهذا صريح في أنه أراد بجبل الدعاء: النابت، الذي وقف عليه رسول الله ﷺ، ولا تعرض في كلامه لجبل الرحمة بنفي ولا إثبات، وما فهمه ـ رحمه الله ـ أنه جبل الرحمة، غير مطابق، وقوله: (وهو الجبل)، أراد سهله، وهو من الأضداد، يطلق على المكان المرتفع والمنخفض...) انتهى.

فتبين من هذا أن اسم: (جبل الدعاء) لم يطلقه الماوردي ـ رحمه الله تعالى ـ على هذا الجبل: (إلال)، وإنما أطلقه على موقف النبي ﷺ للدعاء عشية عرفة، والله أعلم.

٥ ـ **جبل المشاة**: بالجيم، ثبت في «صحيح مسلم» من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ في وصف موقف النبي ﷺ عشية عرفة: أنه ﷺ أتى الموقف، وجعل بطن ناقته إلى الصخرات، وجعل حَبْل المشاة بين يديه).

هكذا المشهور في لفظ الرواية: (حبل المشاة) بالحاء المهملة، كما مضى تحريره في: (المبحث الأول).

لكن المحب الطبري في: «القِرَى» ٣٨٦ قال: (وجعل

جبل المشاة بين يديه ـ بالجيم ـ فإن الواقف ـ كما وصفناه ـ أي في موقف النبي ﷺ ـ يكون هذا الجبل ــ أعني إلالاً ـ بين يديه، وهو: جبل المشاة) انتهى.

وهذا الضبط بالجيم، وأنه: (إلال) لم أره لغيره، ولهذا فإن ابن جماعة الشافعي لما ساقه في: «المناسك» ٣/ ١٠٠٧ قال: (وفيه نظر).

فتحصل أنه لا يصح إطلاق: (جبل المشاة) على: (إلال)، والله أعلم.

٦ ـ **كبكب** : في بلاد العرب عدة كباكب: جبل كبكب في بدر، وجبل كبكب في نجد، وجبل كبكب شرق عرفة، كما في: «معجم البلدان» ٤/ ٤٣٤.

وقد أطلق محمد بن أبي الصيف اليمني الشافعي المتوفى سنة ٦٠٩ على جبل: إلال، اسم: (كبكب)، وتعقبه المحب الطبري في: «القِرَى» ٣٨٦، بعد أن ساق كلامه فقال: (وذكر ابن أبي الصيف في بعض تعاليقه على الجوهري، أن اسم جبل الرحمة ــ الذي يُقال له: جبل

المشاة ـ: كبكب). قلت ـ أي المحب ـ: والمشهور في كبكب أنه اسم جبل بأعلى نَعْمان، بقرب الثنايا، عنده قوم يُدعون الكباكبة نسبة إليه، والمشهور في جبل الرحمة ما ذكرناه) انتهى.

فتبيّن من هذا أنه لا يصح إطلاق هذا الاسم: (كبكب) على: (جبل إلال)، والله أعلم.

٧ ـ **القُرين**: بضم القاف، اسم لموضع في نجد، قتل عنده: نجدة الحروري سنة ٦٩، وبه سُمّي فقيل: (قرين نجدة) كما في: «معجم البلدان» ٤/ ٣٣٧، و(القرين) عند العرب اسم: الجبل الصغير، وهو عندهم أيضاً: (قرن)، كما في «معجم البلدان» ٤/ ٣٣٧ و«القاموس» مادة: (قَرَنَ).

وذكر الشيخ عبدالله بن جاسر المتوفى سنة ١٤٠١ ـ رحمه الله تعالى ـ في منسكه: «مفيد الأنام» ٢/ ٢٣ الذي ألّفه سنة ١٣٦٧، ما نصه: (ويُسن أن يقف عند الصخرات، وجبل الرحمة، واسمه: إلال، على وزن هِلال، وبعض العامة تسميه: (القُرين) بضم القاف مصغراً) انتهى.

فتبين بهذا أن إطلاق اسم: (القرين) على (إلال) هو بحكم الاصطلاح العام في لسان العرب، لا أنه اسم يخصه، والله أعلم.

والخلاصة: أنه لا تصح تسمية هذا الجبل باسم: (جبل كبكب) ولا باسم: (جبل المشاة)، وأنه لا تصح نسبة تسميته باسم: (جبل الدعاء) إلى الماوردي، بل هي وهم عليه، وأنه أراد محل الموقف موقف النبي ﷺ، وأن تسميته باسم: (جبل الرحمة) لم تعرف ـ حسب التتبع ـ إلاَّ من أواخر القرن الرابع الهجري، ولعلها بحكم ما يتفضل الله به على عباده ذلك اليوم من الرحمة والمغفرة، وأن تسميته باسم: (جبل القُرين) لا يثبت إطلاقها عليه بخصوصه، لكن من باب اصطلاح العرب في كلامها من إطلاق اسم: (القُرين) على الجبل الصغير.

ونتج من هذا أنه لا يثبت إلاَّ اسمان هما: (جبل إلال) وهو المعروف في لسان العرب شعراً، ونثراً، و(جبل عرفة) وهو مروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وأن استعمال الفقهاء دائر بين هذين الاسمين: (جبل عرفة) و(جبل الرحمة)، وأن

هذا الاسم: (جبل الرحمة) من جنس تعبيرهم عن: (الحجر)، من البيت باسم: (حجر إسماعيل) بدعوى أن إسماعيل ـ عليه السلام ـ دفن فيه، وهو غلط لا تُسنده رواية صحيحة البتة، وتسميتهم: ميقات: (ذي الحليفة) باسم: (أبيار علي) بدعوى أن عليًّا ـ رضي الله عنه ـ قاتله الجن فيها، وعلي ـ رضي الله عنه ـ أكرم على الله من أن يقاتله الجن، وتسمية الجبل المشاهد لمسجد الخيف باسم: (مجر الكبش) أي كبش الفداء للذبيح إسماعيل ـ عليه السلام ـ وهو غلط لا تُسنده رواية صحيحة، وهكذا.

والمتعين هو إرجاع الشيء إلى أصله، وتسميته باسمه، لاسيما فيما يتعلق بمواضع النسك والتعبد، فلنقل: (جبل إلال) أو: (جبل عرفة)، ويزيد الأمر هنا أن هذا الاسم المستحدث: (جبل الرحمة) فيه مزيد إغراء لجهلة الحجيج بقصد الذهاب إليه، والوقوف عليه، مما يحصل منه إضرار جسيم، وتعبد بما لم يشرع. والله أعلم.

المبحث الثالث

في أنه لا ذكر لجبل إلال في الرواية، ولا يتعلق به نسك يخصه

بعد بذل الوسع في التقصِّي لم أجد لهذا الجبل: (جبل إلال) بعرفة ذكراً تحت أي اسم في شيء من كتب السنة، في: «كتاب الحج» منها، ولا في فهرس المواضع من: «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» في المجلد الثامن، ولم أر له ذكراً في رواية مرفوعة أو موقوفة في كتب المواضع، ولا في كتب اللغة، ولا فهارس المواضع لكتب السنة، وتواريخ مكة ـ حرسها الله تعالى ـ.

وقد نصَّ غير واحد من العلماء أهل الاستقراء، على أنه لا يثبت في خصوص هذا الجبل شيء، ولا فضيلة له تَخُصُّه بل هو كسائر أرض عرفة، ولا نسك يشرع في الرقي عليه، من هؤلاء: ابن الأثير (ت) سنة ٦٠٦، والنووي (ت) سنة ٦٧٦، والمحب الطبري (ت) سنة ٦٩٤، وابن تيمية (ت)٧٢٨، وابن جماعة (ت)٧٦٧، والعلاء المرداوي (ت) ٨٥٨،

والشنقيطي (ت) سنة ١٣٩٣، وغيرهم، بل حكى شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ الإجماع، كما في: «الاختيارات العلمية» للبعلي ص/ ٦٩، فقال: (ولا يُشرع صعود جبل الرحمة إجماعاً) انتهى.

وقال الجويني ــ رحمه الله تعالى ـ في: «نهاية المطلب» قال: (في وسط عرفة: جبل، يقال له: جبل الرحمة، ولا نُسك في الرقي عليه، وإن كان يعتاده الناس) انتهى.

وقال النووي ــ رحمه الله تعالى ــ في: «شرح مسلم» ـ ٨/ ١٨٥ ـ (ومنها ــ أي فوائد حديث جابر ــ: أنه يستحب أن يقف عند الصخرات المذكورات، وهي صخرات مفترشات في أسفل جبل الرحمة، وهو الجبل الذي يتوسط أرض عرفات، فهذا هو الموقف المستحب، وأما ما اشتهر بين العوام من الاعتناء بصعود الجبل، وتوهمهم أنه لا يصح الوقوف إلَّا فيه فغلط، بل الصواب: جواز الوقوف في كل جزء من أرض عرفات، وأن الفضيلة في موقف النبي ﷺ عند الصخرات، فإن عجز فليقرب منه حسب الإمكان) انتهى.

وقال ـ رحمه الله تعالى ـ في: «المجموع» ٨/ ١٠٧: (وأما ما اشتهر عند العوام من الاعتناء بالوقوف على جبل الرحمة، الذي هو بوسط عرفات ـ كما سبق بيانه ـ وترجيحهم له على غيره من أرض عرفات، حتى ربما توهم من جهلتهم أنه لا يصح الوقوف إلاَّ فيه، فخطأ ظاهر، ومخالف للسنة، ولم يذكر أحد ـ ممن يعتمد ـ في صعود هذا الجبل فضيلة يختص بها، بل له حكم سائر أرض عرفات غير موقف رسول الله ﷺ، إلاَّ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، فإنه قال: (يستحب الوقوف عليه) وكذا قال الماوردي في: «الحاوي»: (يستحب قصد هذا الجبل الذي يقال له: (جبل الدعاء) قال: وهو موقف الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ) وذكر البندنيجي نحوه.

وهذا الذي قالوه: لا أصل له، ولم يرد فيه حديث صحيح، ولا ضعيف، فالصواب الاعتناء بموقف رسول الله ﷺ وهو الذي خصه العلماء بالذكر، وحثوا عليه وفضلوه، وحديثه في «صحيح مسلم»، وغيره كما سبق، هكذا نص عليه الشافعي وجميع أصحابنا وغيرهم من العلماء.

وقد قال إمام الحرمين: (في وسط عرفات جبل يسمى: جبل الرحمة، لا نسك في صعوده وإن كان يعتاده الناس، والله أعلم) انتهى.

وقال المحب الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ في «القِرَى» ٣٨٦ ـ ٣٨٧: (ولا يثبت في الجبل الذي يعتني الناس بصعوده خبر ولا أثر، وذكر شيخنا أبو عمرو بن الصلاح في منسكه، عن صاحب «الحاوي»، أنه يقصد الجبل الذي يقال له: جبل الدعاء، وهو موقف الأنبياء صلوات الله عليهم.

وعن محمد بن جرير الطبري، أنه يستحب الوقوف على الجبل الذي عن يمين الإمام، يعني جبل الرحمة، والذي ذكره صاحب «الحاوي» لا دلالة فيه على إثبات فضيلة لهذا الجبل، فإنه قال: والذي نختار في الموقف أن يقصد نحو الجبل الذي عند الصخرات السود، بحيث يعلوه، وهو الجبل الذي يقال له: جبل الدعاء، وهو موقف الأنبياء عليهم السلام، والموقف الذي وقف فيه رسول الله ﷺ، وهو من الأجبل الثلاثة: النبعة، والنبيعة، والنابت، وموقفه ﷺ كان على النابت منها، وهو عند النشز الذي

خلف مقام الإمام، ووقف ﷺ على ضرس من النابت، وجعل بطن ناقته إلى الصخرات، وجعل جبل المشاة بين يديه، قال: وهذا أحب المواقف إلينا للإمام والناس.

قلت: وهذا صريح في أنه أراد بجبل الدعاء: النابت، الذي وقف عليه رسول الله ﷺ، ولا تعرض في كلامه لجبل الرحمة، بنفي ولا إثبات، وما فهمه رحمه الله أنه جبل الرحمة، غير مطابق، وقوله: (وهو الجبل) أراد سهله، وهو من الأضداد يطلق على المكان المرتفع والمنخفض، ولعل النبي ﷺ إنما وقف عليه لكونه موقف الأنبياء عليهم السلام، وكلام ابن جرير ظاهر الدلالة على أنه أراد بالجبل الذي عن يمين الإمام، الجبل الذي وقف عليه النبي ﷺ، وهو النابت، كما تقدم بيانه، والله أعلم.

والظاهر أنهما أراداه بقولهما، فيكونان قد أثبتا له شيئاً من الفضل، ولا نعلم من أين أخذا ذلك، إذ لم يثبت في فضله خبر، ولو ثبت له فضل، فموقف رسول الله ﷺ أفضل منه، وهو الذي خصه العلماء بالذكر والتفضيل.

قلت: وقال صاحب «النهاية»: في وسط عرفة جبل يقال له:

جبل الـرحمة، ولا نسك فـي الرقي عليـه وإن كان يعتـاده الناس.
وقال غيره: قـد افتتنت العامة بهذا الجبل في زمـاننا، وأخطأوا في أشيـاء: منها: أنهـم جعلوا الجبـل هـو الأصل في الـوقـوف، فهم بذكره لهجـون، وعليه دون غيره معرجون، حتى ربمـا اعتقد بعض العامة أن الوقوف لا يصح بدون الرقي.

ومنها : احتفالهم بالوقوف عليه قبل وقت الوقوف.

ومنها: إيقادهم النيران عليه ليلـة عرفة، واهتمامهم بذلك، باستصحـاب الشموع من بلادهم، واختـلاط النساء بالـرجال هنالك، صعوداً وهبـوطاً، بالشمع الكثير الموقـد، وإنما حدث ذلك بعد انقراض السلف الصالح، ومـن كان متبعاً آثار النبوة، فـلا يحصل بعـرفة قبـل دخول وقـت الوقـوف، ويأمـر بـذلك ويعين عليه، وينهى عن مخالفته) انتهى.

وهذا كلام في غاية التحـرير، والتدقيق، وهو دالٌّ على علم المحب الطبـري وإنصافه ــ رحم الله الجميع ــ فإنه شـافعي المذهب، وابن جـرير، وإمام الحرمين، والمـاوردي، من أئمة الشافعية، وإن كان مسبوقاً بهـذا التعقب والتحقيق بما قرره الإمام

النووي ـ رحمه الله تعالى ـ وهو شافعي أيضاً ـ رحم الله الجميع ـ.

وقال ابن جماعة الشافعي المتوفى سنة ٧٦٧ ـ رحمه الله تعالى ـ في منسكه: «هداية السالك» ٣/ ١٠٠٧ ـ ١٠٠٨:

(وما اشتهر عند كثير من العوام من ترجيح الوقوف على جبل الرحمة على الوقوف على غيره أو أنه لابد من الوقوف عليه، واحتفالهم بالوقوف عليه قبل الوقت وإيقادهم الشموع عليه ليلة عرفة، واهتمامهم بذلك باستصحابها من بلادهم واختلاط النساء بالرجال، صعوداً وهبوطاً، فخطأ وجهالة وابتداع قبيح، حدث بعد انقراض السلف الصالح، نسأل الله ـ تعالى ـ إزالته، وسائر البدع.

وشذ بعض أهل العلم من متأخري الشافعية، فاستحب الوقوف عليه وسَمَّاه: (جبل الدعاء) وليس لذلك أصل) انتهى.

وهو يريد ببعض متأخري الشافعية: ابن جرير الطبري، والماوردي في: «الحاوي» وإمام الحرمين، وسبق تعقب النووي، والمحب الطبري لكلامهما.

وفي: «الإنصاف» للمرداوي ٤/ ٢٩ عند قول ابن قدامة

في: «المقنع»: (ويستحب أن يقف عند الصخرات وجبل الرحمة راكباً) انتهى.

قال المرداوي: (تنبيه: قوله: (عند الصخرات وجبل الرحمة) هكذا قال الأصحاب، وقال في «الفائق»: قلت: المسنون تحري موقف النبي ﷺ ولم يثبت في جبل الرحمة دليل» انتهى.

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ في: «أضواء البيان» ٥/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤: (الفرع الخامس: اعلم أن الصعود على جبل الرحمة الذي يفعله كثير من العوام لا أصل له، ولا فضيلة فيه؛ لأنه لم يرد بخصوصه شيء، بل هو كسائر أرض عرفة، وعرفة كلها موقف، وكل أرضها سواء إلاَّ موقف رسول الله ﷺ، فالوقوف فيه أفضل من غيره، كما قال غير واحد.

وبذلك تعلم أن ما قاله أبو جعفر ابن جرير الطبري والماوردي من استحباب صعود جبل الرحمة لا يعول عليه. والعلم عند الله تعالى) انتهى.

المبحث الرابع
في تعيين موقف النبي ﷺ في عرفة وحكمه للناسكين بالحج

مجموع ما ثبتت به الرواية في «صحيح مسلم»، وغيره من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ ومن حديث غيره في السنن وغيرها: أنه ﷺ لَمَّا فَرَغَ من صلاته بمسجد نمرة ـ بعد الزوال ـ انصرف ﷺ إلى الموقف راكباً ناقته القصواء حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل حبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة راكباً، رافعاً يديه لا يجاوز بهما رأسه، يدعو، ويخلط دعاءه بالتلبية والتكبير، وكان مفطراً غير صائم، وأرسل ﷺ إلى الناس أن يكونوا على مشاعرهم، ويقفوا بها، فإنها من إرث أبيهم إبراهيم ـ عليه السلام ـ ولم يزل ﷺ واقفاً على هذه الحال الشريفة من التضرع، والابتهال، والدعاء حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً، حتى غاب القرص، وقال: «وقفت ها هنا وعرفة كلها

مـوقف»، ثم أردف أسـامـة بن زيـد ــ رضي الله عنهمـا ـ ودفـع إلى المزدلفة، وفي هذا الموقف نـزل عليه قول الله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم...﴾ الآية.

هذا هو مـا ثبت في تحديد موقف النبي ﷺ ووقتـه، وصفته، كما في: صحيح مسلم وسنن أبي داود والنسـائي، وسياق حجته ﷺ في: «زاد المعاد» ٢/ ٢٣٥ و«القِرَى» للطبري: ص/ ٣٨١.

وأخرج الفاكهي في: «أخبـار مكة»: ٥/ ٦ ـ ٧ رقم/ ٢٧١٩، وأبو الوليـد الأزرقي في «تـاريخ مكـة»: ٢/ ١٩٤، مسنداً عن محمـد بن عبـدالله بن عبيد بـن عمير الليثي عـن ابن أبي نجيـح، عن مجاهـد، قال: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهمـا ـ: (حد عرفة: الجبل المشرف على بطن عُـرنة إلى جبـال عرفـة، وموقف النبي ﷺ بيـن الأجبل من النبيعة والنبعـة والنابت، ومـوقفه منهـا (النابت) وهي الضـراب التي تكتنف موقف الإمام الأيسر الذي خلف الإمام).

وذكـره المحب الطبـري في: «القِـرَى» ٣٨٥، والسيـوطـي في: «الـدر المنثور»: ١/ ٢٢٣، وابـن جماعـة في: «منسكـه» ٣/ ١٠٠٩، عن الأزرقي.

وهذا إسناد ضعيف لضعف الليثي، قال ابن معين: (ليس حديثه بشيء) كما في «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم ٧/ ٣٠٠. ثم إن الفاكهي رواه بسنده معضلاً عن الليثي عن أبيه، قال: وقف النبي ﷺ، فذكره بنحوه.

زاد الأزرقي قوله: (والنابت عند النشزة التي خلف موقف الإمام، وموقف النبي ﷺ على ضِرْسٍ من الجبل النابت مفترش بين أحجار هناك ناتئة من الجبل الذي يقال له: إلال) انتهى.

وهذه المواضع الثلاثة، قال عنها ياقوت في: «معجم البلدان» ٥/ ٢٥٨: (النبعة: جبل بعرفات عند النبيعة، قال ابن أبي نجيم: من عرفات: النبعة، والنبيعة، وذات النابت) انتهى.

وفي: ٥/ ٢٤٨ قال: (النابت ـ بكسر الباء ـ: موضع بالبصرة، وذات النابت بعرفات) انتهى.

وقد تكلم على تعيين موقف النبي ﷺ من عرفة جماعة من العلماء، لكن لم أر لأحد منهم مثلما رأيت لعالمين جليلين:

أحدهما: البدر بن جماعة فيما نقله عنه ابنه العز بن

جماعة (ت) سنة ٧٦٧ ـ رحمه الله تعالى ـ في: «منسكه»: ٣/ ١٠٠٨، قال: (وقد اجتهد والدي ـ تغمده الله برحمته ـ في تعيينه، وجمع فيه بين الروايات، فقال: إنه الفجوة المستعلية المشرفة على الموقف، وهي من وراء الموقف صاعداً في الرابية، وهي التي عن يمينها وورائها صخر ناتىء متصل بصخر الجبل المسمى: (بجبل الرحمة)، وهذه الفجوة بين الجبل المذكور، والبناء المربع عن يساره، وهي إلى الجبل أقرب بقليل بحيث يكون الجبل قُبالَة الواقف بيمين إذا استقبل القبلة، ويكون طرف الجبل تلقاء وجهه، والبناء المربع عن يساره بقليل وراءه.

قال والدي ـ رحمه الله تعالى ـ إنه وافقه على ذلك من يُعتمد عليه من محدثي مكة وعلمائها، حتى حصل الظن بيقينه) انتهى.

ونقله الفاسي في : «تاريخ مكة» ٤٨٥، وأثنى عليه، ثم قال: (قلت: البناء المربع المشار إليه في هذا الكلام، هو الذي يقال له: بيت آدم بعرفة وكان سقاية للحاج، أمرت

بعملها العجوز والدة المقتدر العباسي، على ما هو مكتوب في حجر في حائطها القبلي) انتهى.

وثانيهما: الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جاسر (ت)١٤٠١ ـ رحمه الله تعالى ـ في «منسكه»: ٢/ ٢٤ ـ ٢٥، الذي ألَّفه سنة ١٣٦٧ قال: (تنبيه: إذا كان بعرفة غرباً عن جبل الرحمة الذي وقف عنده ﷺ أو شمالاً أو جنوباً عنه، فإنه لا يستقبل الجبل المذكور، وإنما يستقبل القبلة، هذا هو السنة، وقد رأيت أكثر الحجاج حين الوقوف بعرفات يستقبلون الجبل ويدعون وهم متوجهون إلى الشرق أو الجنوب أو الشمال، ويقولون: نحن نشاهد الجبل، وغالبهم لا يطمئن إلاَّ برؤيته للجبل في منزله بعرفة وحين الدعاء.

فينبغي التنبه لهذا وتنبيه الناس على استقبال القبلة حين الوقوف والدعاء، أما إذا كان الواقف بعرفات شرقاً عن جبل الرحمة، فإنه إذا استقبله يكون مستقبلاً للقبلة، ولكن ليس هو موقف النبي ﷺ الذي وقف فيه بعرفة كما يأتي، والله أعلم.

تنبيه آخر: السنة أن يقف بعرفات عند الصخرات؛

جابر المتقدم، وفيه: (فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة) والصخرات المذكورات لم أر من الفقهاء ولا من مؤلفي المناسك ولا من شراح الحديث من عيّن موضعها، وفي تواريخ مكة شيء من بيان موضعها، لكنه غير محرر، فلا يكفي ولا يشفي، ولم أعلم إلى ساعتي هذه من حرر موضعها تحريراً واضحاً، وقد صار عادة أهل نجد سابقاً ولاحقاً يقفون هناك على الإبل في حفرة شرقاً عن جبل الرحمة، وهم فيها مستقبلون للقبلة، لكن هذه الحفرة ليست ـ والله أعلم ـ موقف النبي ﷺ؛ لأنه لا ينطبق على موضعها حديث جابر حيث جاء فيه: (وجعل حبل المشاة بين يديه) ومن كان واقفاً في الحفرة المذكورة لا يكون بين يديه حبل مشاة، فرضي الله عن جابر ابن عبدالله، لقد وصف موقف النبي ﷺ وصفاً واضحاً، والذي ينطبق عليه هو المحل الكائن عند الجبل من جهته الجنوبية، فإذا وقفت فيه صار الجبل المسمى جبل الرحمة على يمينك وكنت حينئذ مستقبلاً للقبلة، وصار حبل المشاة بين يديك، تشاهدهم

وهم يمشون، وهناك الصخرات عليها بناية من الجهات الأربع على هيئة المسجد وفيه محراب، وكان أمراء مكة من السابق يقفون في هذا الموضع، والله أعلم) انتهى.

قلت: وفي صيف هذا العام ١٤١٧، وقفت يوم السبت ١٧/ ٤/ ١٤١٧ متأملاً تعيين موقف النبي ﷺ بعرفة عشيتها، من خلال وصف جابر رضي الله عنه وغيره لموقف النبي ﷺ وفيه ثلاثة أشياء:

١ ـ أنه ﷺ بعد الصلاة ركب حتى الموقف، واستقبل القبلة راكباً رافعاً يديه لا يجاوز بهما رأسه.

٢ ـ وأنه ﷺ في حال استقبال القبلة جعل حبل المشاة بين يديه.

وحبل المشاة: هو بالحاء المهملة المفتوحة، أي صَفُّهم، ومجتمعهم في مشيهم، فكأنه عَبَّر بحبل المشاة عن المشاة أنفسهم. وقيل: حَبْل المشاة: طريقهم الذي يسلكونه.

ومن خلال التعرف على: النبعة، والنبيعة، وذات النابت.

ومن خلال تعيين موقف النبي ﷺ عمَّن تقدم ذكره من العلماء؛ صارت الخلاصة عندي حسب المعاينة والمشاهدة حالياً كالآتي:

إذا أتى الآتي مـن غرب عـرفة متجهـاً شرقـاً يجعل جبل إلال عن يسـاره، ثم يستمر في المسيـر حتى يعلو قليـلاً على نشز أو عرق أو ضرس من حجارة مَدْحُـوٍّ بالرمل هو (النابت) وهو متصل في ذيل جبل إلال بركنـه الجنوبي الشرقي، وهذا النَّشز ممتـد من الشمـال إلى الجنوب بنحـو خمس مئـة متر حتى يتصـل بجبيل صغيـر لاطـيء كـاللسـان، فإذا جعلـت وجهـك للقبلـة غـربـاً صـار ذيـل جبل إلال عـن يمينـك والصخـرات مفترشـة في ذيلـه أمامـك، وترى أمـامهـا حبل المشـاة (جمـاعتهم وطـريقهم) وجبـل النبيعـة عن يسـارك لاطيء كـاللسان، وجبل النبعـة خلف كتفك الأيمن مـرتفع كالسنان، وهـو منحدر من (جبل سعد) أعلى قمة تشـاهدها في الجبـال المحيطة بعـرفـة شرقـاً، و(جبل سعـد) يحتضن هذه المعـالم الأربعـة: ذات النابت، وفي طـرفها الشمـالي: جبل إلال، وفي طـرفها الجنـوبي (النبيعة) و(النبعـة) خلف الواقف على ذات النابت في حال استقباله القبلة، ويتخللها ضراب وشعاب، سميت بها.

المبحث الخامس
أنواع ما أحدث في جبل إلال، والموقف، من الأبنية، والأقوال، والأفعال، وتاريخها

مضت القرون الثلاثة الفاضلة، بل القرن الرابع كذلك، ولم يسجل المؤرخون وغيرهم إحداثاً في: (جبل إلال) و(الموقف)، إذ كان الأمر جارياً على الإسلام، والسنة، والسلامة، والسَّداد، لكن لما بَعُدَ الناس من أنوار النبوة، أخذت تدب إليهم بعض المحدثات، فكان منها ما كان على: (جبل إلال بعرفة) حتى بلغت البدع المحدثة على هذا الجبل وما حوله نحو ثلاثين بدعة، ويمكن تصنيفها في قسمين:

القسم الأول: ما أحدث من الأبنية، وهي في الأنواع الآتية:

١ ـ **حياض للماء:** هذه من فعل الخير لِسُقيَا الحجاج في

عرفة، والمزدلفة ، ومنى، ومنها: ثمانية حياض، أو سبعة، قرب سفح جبل إلال، في جنوبيه، وغربيه، وتعرف بحياض عبدالله ابن عامر بن كريز، والحافظ ابن حجر في: «الإصابة»: ٥/ ١٧ ترجمه وذكر أن له حين وفاة النبي ﷺ نحو سنتين، وقال: (أول من اتخذ الحياض بعرفة، وأجرى إليها العين)انتهى.

وذكر ذلك الفاكهي، وَمَنْ بَعْدَهُ، وقال في تاريخ مكة ٥/ ٤٢ ـ ٤٣: (ويقال: إن ثلاثة سبقوا بمكة إلى ثلاثة لم يسبقهم إليها أحد: عبدالله بن عامر في حياضه هذه، والمهدي في عمل المسجد الحرام، وأم جعفر زبيدة بنت أبي الفضل في عمل البركة بمكة) انتهى.

وفي: «سفر نامه» رحلة ناصر خسرو: ذكَرَ أن أول من أحدثها هو: أمير عدن (شاه دل). وأكثر المؤرخين على ما ذكره الفاكهي.

ومن تتبع ما كتب عن هذه الحياض (ويقال: المصانع، ويقال: الجوابي، ويقال: الجباب، ويقال: الصهاريج) يرى أنها تعمر، ثم تندثر، ثم تعمر، وهكذا من عهد إلى آخر، وقد

أفاض الكردي في أحداث تعميرها وإجراء عين زبيدة في: «التاريخ القويم» ٦/ ٤٤، ٥٥ ـ ٩٩. وانظر منه: ٦/ ٤٤، ٥٩، ٦٠، ٨٨.

وانظر: «أحسن التقاسيم» للبشاري ٧٩ و«مرآة الحرمين»: ١/ ٤٥ ـ ٤٦ و«جغرافية شبه جزيرة العرب» ص/ ١٥٠، ومضى في: (المبحث الأول) أنه يوجد الآن من هذه الحياض اثنان مع وصف المجرى، وما إليه.

٢ ـ **الحُجَر**: قال ناصر خسرو المتوفى ٤٤٤، وقيل: بعد سنة ٤٥٠، في رحلته «سفر نامه» ١٥٩: (كما رأيت فوق جبل الرحمة، أربع حُجَر كبيرة تُشْعَلُ فيها المصابيح ليل نهار، ويمكن مشاهدة ضوئها من بُعْدِ فرسخين، وبلغني أن الأمير (شاه دل) هو الذي أمر ببناء هذه الحُجَر وإضاءتها، كما يزعمون أن أمير مكة، قبض ألف دينار، قبل أن يسمح لأمير عدن ببناء هذه الحُجَر، وإضاءتها) انتهى. ولم أر لها ذكراً عند غيره.

٣ ـ **الدَّرَج**: قال الفاسي في: «تاريخ مكة» ٤٨٦: (وكان

هذا الجبل صعب المرقى، فسهله الوزير الأصفهاني، وبنى فيه مسجداً ومصنعاً للماء) انتهى.

والوزير هو: الجواد الأصفهاني محمد بن علي (ت) سنة ٥٥٩، وقد ذكروا من أمره في الجود والصدقات عجباً، قال الذهبي في «السير» ٢٠/ ٣٤٩: (وأجرى الماء إلى عرفات أيام الموسم، وكان يُنفذ في السنة إلى الحرمين ما يكفي الفقراء، وَوَاسَى الناس في قحط، حتى افتقر وباع (بِقْيَارَهُ) أي عمامته) انتهى ـ رحمه الله تعالى ـ.

وقال ابن رُشَيْد (ت) سنة ٧٢١، في: «ملءِ العيبة»: ٥/ ٨٧: (وقد صُنع له درج بالبناء من أمامه ومن خلفه، فيرتقى إليه على طريق، وينزل من أخرى، وربما التقى فريق مع فريق، فَيَغُصَّ الجبل بالصاعدين، والنازلين...). انتهى.

وقال إبراهيم باشا في: «مرآة الحرمين» ١/ ٤٤: (ويُصْعَدُ إليه بمدارج كبيرة على شكل سُلمٍ غير منتظم، به ٩١ درجة تختلف بارتفاع الواحدة منها من عُشر المتر إلى ثلاثة أعشاره) انتهى.

ونقله عنه كحالة في: «جغرافية شبه جزيرة العرب» ١٥٠ بدون عَزْوٍ إليه.

وفي رحلة الوزير الشرقي الإسحاقي المغربي إلى الحج عام ١١٤٣ المنشور مختصرها في مجلة «العرب» ص/ ١٠٨ لسنتها العشرين: (وكان صعب المرتقى، فأحدث فيه بعض ولاة الخير أدرجاً من أربع جهات يُصعد فيها بالدواب الموقرة ـ جزاه الله خيراً ـ) انتهى.

قلت: والمشاهد من هذه الأدرج الآن حتى عامنا هذا ـ عام ١٤١٧ ـ هو درج واحد في جهته الجنوبية، عدد درجاته (١٦٨) درجة، كما تقدم وصفها بالوقوف، والمشاهدة.

ولم أرى أيَّ أثر لدرج سواها في أي من جهات الجبل تصعد إلى سطحه.

٤ ـ **الشاخص**: قال ياقوت (ت) سنة ٦٢٦، في «معجم البلدان»: ٤/ ١٠٥: (وفيه عَلَمٌ) انتهى.

قال البشَّاري (ت) نحو سنة ٣٨٠، في رحلته: «أحسن التقاسيم» ص/ ٧٩: (والموقف منها ـ من عرفة ـ عَلَى صَيْحةٍ

عند جبل مُتَلاَطٍ، وثم سقايات، وحياض، وقَنَاة تَخُرُّ، وعلم قد بني، يقف خلفه الإمام للدعاء، والناس حوله على جبال بقربه لاطية) انتهى.

وفي: «مرآة الحرمين» ١/ ٤٤ (وفيه ـ جبل الرحمة ـ ترى العلم الذي في أعلى جبل الرحمة) انتهى.

ومثله في: «جغرافية شبه جزيرة العرب» ١٥٠ بدون عزو إليه.

وفي: «التاريخ القويم» ٦/ ٤٠ قال: (وبوسط سطحه ـ أي سطح جبل الرحمة ـ علم مبني بالحجارة، طوله نحو ثلاثة أمتار أو أربعة، يعلق فيه ليلة عرفة جملة مصابيح) انتهى.

أقول: هذا الشاخص، ويقال: (العلم) و(النصب) ما زال موجوداً بارتفاع ٨ أمتار، وعرض ٨٠ سم.

٥ ـ **تسطيح رأس الجبل**: مضى عند ذكر الدرج تسهيل الوزير الأصفهاني له، وأن وفاته سنة ٥٥٩هـ ـ رحمه الله تعالى ـ.

وفي: «رحلة ابن بطوطة» المتوفى سنة ٧٧٩ ـ ١/ ١٨٤ ـ

قال: (وفي أعلاه قُبَّةٌ تنسب إلى أم سلمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ وفي وسطها مسجد يتزاحم الناس للصلاة فيه، وحوله سطح فسيح يشرف على بسيط عرفات...) انتهى.

وفي: «مرآة الحرمين» ـ ١/ ٤٤ ـ ما نصه: (وفي أعلى الجبل مستوى مبلط مربع ضلعه ٥٠ متراً، وفي وسط المستوى مصطبة مربعة، ضلعها سبعة أمتار، وارتفاعها متر ونصف).

ومثله في: «جغرافية شبه جزيرة العرب» ص١٥٠.

وقلت: وتسطيح الجبل ما زال قريباً من ذلك.

٦ ـ **تسوير سطح الجبل**: شاهدت وقت وُقُوفي على سطح هذا الجبل في ١٧/ ٤/ ١٤١٧ وجود جدار بارتفاع نحو نصف متر في جهاته غرباً، وشمالاً، وشرقاً.

٧ ـ **قبة أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ**: ذكرها ابن جبير (ت) سنة ٦١٤ في: «رحلته» ١٥٣ وابن بطوطة (ت) سنة ٧٧٩ في: «رحلته» ١٨٤ والفاسي في: «تاريخه» ٤٨٦ ـ رحمهم الله تعالى ـ.

قال ابن بطوطة: (وفي أعلاه قبة تُنسب إلى أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ وفي وسطها مسجد يتزاحم الناس للصلاة فيه) انتهى.

وقال الفاسي: (والقبة التي فيه الآن جُددَتْ سنة ٧٩٩ بعد سقوطها في التي قبلها، وعمارتها من مال ما أنفذه الملك الظاهر برقوق صاحب مصر، وما عرفت في أي وقت عُمرت هذه القبة بهذا الجبل، وكانت موجودة في سنة ٥٧٩ على ما ذكر ابن جبير، وذكر أنها تُنسب لأم سلمة ـ رضي الله عنها ـ والله تعالى أعلم بصحة ذلك) انتهى.

أقول: هذه القبة لا وجود لها الآن ـ والحمد لله رب العالمين ـ.

٨ ـ **قبة آدم ـ عليه السلام ـ** هي على جبل الرحمة، وقد ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ منكراً لما يحصل فيها من صلاة وطواف، فقال في: «الفتاوى» ـ ٢٦/ ١٣٣ ـ: (وعرفة كلها موقف، ولا يقف ببطن عرنة، وأما صعود الجبل، الذي هناك فليس من السنة، ويسمى جبل

الرحمة، ويقال له: إلال، على وزن: هلال، وكذلك القبة التي فوقه، التي يقال لها: (قبة آدم)، لا يستحب دخولها، ولا الصلاة فيها، والطواف بها من الكبائر...) انتهى.

وقال أيضاً: ٤/ ٥٢١: (ومن ذلك: الطواف بغير الكعبة، وقد اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الطواف إلاَّ بالبيت المعمور، فلا يجوز الطواف بصخرة بيت المقدس ولا بحجرة النبي ﷺ ولا بالقبة التي في جبل عرفات ولا غير ذلك) انتهى.

ونحوه في: ٢٧/ ١٠ وفي: ١٧/ ٤٨٢ قال: (وليس لأحد أن يشرع ما لم يشرعه الله، كما لو قال قائل: أنا أستحب الطواف بالصخرة سبعاً، كما يطاف بالكعبة، أو أستحب أن أتخذ من مقام موسى وعيسى مصلى، كما أمر الله أن يُتخذ من مقام إبراهيم مصلى، ونحو ذلك: لم يكن له ذلك؛ لأن الله تعالى يختص ما يختصه من الأعيان والأفعال بأحكام تخصه يمتنع معها قياس غيره عليه...) انتهى.

وأنكر الطواف بها أيضاً في: «اقتضاء الصراط المستقيم» ص١٤٩، وكذا ابن الحاج (ت) سنة ٧٣٧ في:

«المدخل»: ٤/ ٢٢٧.

قلت: لا وجود لهذه القبة اليوم ـــ والحمد لله رب العالمين ـ.

٩ ــ ١٠ ــ مسجد ومحراب على سطح الجبل: قال الفاسي في: «تاريخ مكة» ص ٤٨٦: (وكان هذا الجبل صعب المرقى، فسهَّلَه الوزير الجواد الأصفهاني وبنى فيه مسجداً، ومصنعاً للماء) انتهى.

وقال ابن رُشيد في رحلته: «ملء العيبة» ٥/ ٨٧: (وهو جبل مرتفع في أعلاه مسجد، تنصب به رايات أمراء الركب) انتهى.

وقال إبراهيم باشا في: «مرآة الحرمين» ١/ ٤٤: (وحول العمود حائط به محراب يصلي إليه الناس) انتهى.

ومضى النقل عن: «رحلة ابن بطوطة» ١/ ١٨٤ في: (قبة أم سلمة) ـ رضي الله عنها ـ: (وأن في وسطها مسجد يتزاحم الناس للصلاة فيه، وفي قبليه جدار، فيه محاريب منصوبة، يصلي فيها الناس) انتهى.

قلت: لا وجود للمسجد ولا للمحراب ولا للمحاريب اليوم ـ والحمد لله رب العالمين ـ وهل هي شيءواحد، أم متعددة حقيقة؟ لم أر من فصل ذلك، فالله أعلم بحقيقة الحال.

١١ ـ **مسجد إبراهيم**: قال إبراهيم رفعت باشا (ت) سنة ١٣٥٣ في: «مرآة الحرمين» ١/ ٤٤: (وعلى يمين الصاعد على الجبل، قريباً من منتصفه، مُسْتوى، طوله ١٥م في عرض ١٩م، وبه مصلى ذو قبلة، يسمى مسجد إبراهيم ـ عليه السلام ـ ويقال: إن النبي ﷺ صَلَّى فيه، وهذا غير صحيح، فإن هذا المسجد، والدرج الذي وصفناه، بناهما الوزير محمد ابن علي بن المنصور المعروف بالجواد الأصفهاني المتوفى سنة ٥٥٩هـ) انتهى. ومثله في: «جغرافية شبه جزيرة العرب» ص ١٥٠.

وفي: «التاريخ القويم» ٦/ ٤١، قال: (وفي متوسط ارتفاعه ـ أي جبل إلال ـ مستوى طوله (١٥م) في عرض (١٠م) به مسجد إبراهيم كما يقولون) انتهى.

قلت: لا وجود لهذا المسجد في قرب منتصف الجبل على يمين الصاعد، ولا غيره، ولم أر من ذكره من قدماء المؤرخين، ولا يعرف في عرفة مسجد باسم: (مسجد إبراهيم) سوى: (مسجد نمرة)، ويراد بإبراهيم: خليل الرحمن نبي الله ـ عليه السلام ـ وقد خطّأ جماعة من العلماء ـ أيضاً ـ تسمية: (مسجد نمرة) باسم : (مسجد إبراهيم)وأنه لا أصل لها، والمسجد الذي ذكر أن الجواد الأصفهاني بناه في الجبل، لم يتحقق لي هل هو هذا، أو الذي في أعلى الجبل، فالله أعلم.

١٢ ـ **بئر في جبل عرفات**: ذكر الكردي في: «التاريخ القويم» ٦/ ٥٨، نقلاً عن تاريخ الغازي المكي: أنه في عام ١٣٤٦ عثرت إدارة عين زبيدة على آثار بئر قديمة في جبل عرفات منقورة بين الصخور، يقدر قطرها بسبعة أمتار، وعمقها نحو ٢٣ متراً، ووجد بين الأتربة حجر منقوش سنة ٦٠٧، وذكر نصه) والله أعلم.

قلت: ليس لهذه البئر اليوم أثر ولا أثارة.

١٣ ـ **مسجد الصخرات**: قال صاحب: «التاريخ القويم»

٦/ ٤٠، ٤٢: (لا يوجد بعرفات غير هذين المسجدين من قديم الزمان ـ مسجد نمرة، ومسجد الصخرات ــ ومسجد نمرة أقدم من مسجد الصخرات) انتهى.

وقال أيضاً ٦/ ٥٤: (وهو على يمين الصاعد إلى الجبل، من الدرجات المبنية فيه، وهو مسجد مرتفع عن الأرض قليلاً، وبه محراب، يحيط به جدار صغير جدًّا، وفيه صخرات كبار، وعند هذه الصخرات وقف النبي ﷺ عشية عرفة على ناقته القصواء... ومسجد الصخرات غير مسقوف...) ثم ذكر ذرعه نحو ١٣ م غرباً × ٨م جنوباً وشرقاً، دائري الشكل، ثم قال: (إن مسجد الصخرات لا بناء فيه غير ما يحيط من جدار قصير، نحو نصف قامة من الأرض، وفيه محراب صغير، وقد كُبس المسجد بالرمل، بقدر ارتفاعه عن الأرض، لتتساوى أرضه، حيث فيها عدة صخور، ولا تزال إلى اليوم ظاهرة فيه، غير أنه لا يعرف موقف النبي ﷺ فيه بالضبط) انتهى.

وقال إبراهيم رفعت باشا في: «مرآة الحرمين» ١/ ٤٥: (وبأسفل الجبل مسجد، يسمى: (مسجد الصخرات)

يزعمون أن النبي ﷺ صَلَّى فيه، ولم يثبت، وسمي بذلك؛ لأن في أرضه صخور كبيرة بعضها إلى جانب بعض، والمسجد واطئٌ في جانبه الغربي) انتهى.

وقال صاحب «جغرافية شبه جزيرة العرب» ص١٥٠: (وبأسفل الجبل: مسجد صغير، يسمى مسجد الصخرات) انتهى.

قلت: مسجد الصخرات هذا لم أر من ذكره من قدماء المؤرخين، وأصحاب الرحلات المتقدمة زمناً، ولهذا فقول الكردي: إنه من زمان قديم، لم أَرَما يوثقه، والآن بقي من سوره المتطامن بقية، بدون محراب، وهو مضروب بالنورة البيضاء، وأرضه محصوبة مستوية، ومن خلفه شرقاً الضرس المسمى: (ذات النابت) إلى آخر ما تقدم وصفه في مبحث تعيين موقف النبي ﷺ.

١٤ ـ بيت آدم ـ عليه السلام ـ: كما ذكر البدر بن جماعة في تعيين موقف النبي ﷺ بعرفة، أن البناء المربع عن يساره، قال الفاسي في «تاريخه» ص٤٨٥: (قلت: البناء المربع

المشار إليه في هذا الكلام، هو الذي يقال له: (بيت آدم) بعرفة، وكان سقاية للحاج أمرت بعملها العجوز، والدة المقتدر العباسي، على ما هو مكتوب في حجر في حائطها القِبْلي) انتهى.

والمقتدر العباسي ابن المعتضد (ت) سنة ٣٢٠.

قلت: ولعلها على ضرس (النبيعة) الذي يكون على يسار الواقف عند ذات النابت، وأمامه الصخرات، وعن يمينه ذيل جبل إلال. ولا وجود لهذا البيت اليوم ـ والحمد لله رب العالمين ـ.

القسم الثاني: ما أحدثه الناس من الأقوال والأفعال المبتدعة، وفيه أنواع هي:

١٥ ـ أداء الخطبة وصلاة الظهرين على جبل إلال: قال ابن رُشيد (ت) سنة ٧٢١ في رحلته: «ملء العيبة» ٥/ ٩٥ ما نصه: (تنبيه وحسرة: تُرك الجمع على سُنته في موضعه، وصاروا يصلون بإمام يتم لهم لا يُحسن السنة، أمام موقفه ﷺ، ويؤخر الظهر إلى قريب العصر، فينتظره كثير من الجهال،

ويصلي أهل العلم فرادى أو مجتمعون في رحالهم، ثم يجيئون إلى موقف النبي ﷺ.

والذي ظهر من الحكمة الشرعية في مبيت الناس بمنى، وإقامة الصلاة بمسجد إبراهيم، ثم المجيء إلى الموقف: أن يصلي الناس في تلك الأمكنة المطهرة طاهرة، ولم يبق إلاَّ التشاغل بالذكر والدعاء، وأما الآن فتصبح تلك العرصات المشرفات، وقد مُلئت فضلات آدميات، وبهيميات، وإن شئت قلت في الجميع: بهيميات...) انتهى.

وقال ابن بطوطة في: «رحلته» ١٨٤: (وبمقربة منه ـ أي محل الصخرات ـ الموضع الذي يقف فيه الإمام، ويخطب ويجمع بين الظهر والعصر) انتهى.

ومضى قريباً النقل عن: «مرآة الحرمين» لإبراهيم باشا وفيه وقوف الخطيب على جَمَل بجبل الرحمة قريباً من سفحه... إلخ.

وقال البتنوني (ت) سنة ١٣٥٧ في: «الرحلة الحجازية» ونقله عنه صاحب: «التاريخ القويم» ٦/ ٤٥: (وبعد صلاة

العصر ــ أي في مسجد نمرة ـ يتحرك المحملان بحرسهما إلى منحدر جبل الرحمة، وينهض خطيب عرفة، وهو في الغالب قاضي مكة الذي يتعين من قبل السلطان، فَيَصْعَدُ بناقته عن طريق حلزوني إلى صخرة في صدر الجبل، ويخطب نيابة عن خليفة رسول الله ﷺ خطبة يعلم الناس فيها مناسك الحج...) انتهى.

أقول: من هذه النقول يرى الناظر أن ترك صلاة الظهرين في مسجد نمرة، وصلاتهما في سفح الجبل، والخطبة بعدها، قد فاتت فيه ثلاث سنن من هدي النبي ﷺ وهي: أداء الخطبة في مسجد نمرة، ثم أداء الصلاتين فيه، وأن تكون الخطبة قبل الصلاة، فصار الأمر ـ كما قال ابن رشيد ــ إلى هجر هذه السنن، وأداء ذلك في سفح جبل عرفة.

ويرى الناظر أيضاً: أنه في بعض الأزمان تؤدى الصلاة في مسجد نمرة، ثم تؤدى الخطبة في سفح الجبل.

ويرى الناظر أيضا أن هذه المخالفات استمرت نحو (٦٥٠) عاماً.

وأقول أيضاً: قد عادت السنة إلى نصابها، وأظهرت هذه الشعائر على وفق هدي النبي ﷺ فيخطب خطيب عرفة قبل الصلاة في مسجد نمرة، ثم يؤدي الظهرين جمعاً وقصراً في مسجد نمرة ـ والحمد لله رب العالمين ـ.

١٦ ـ إيقاد الشموع والنيران ليلة عرفة على جبل إلال:

هذه بدعة قبيحة انتشرت بعد انقراض القرون المفضلة، وقد بلغت الحال بالجهال إلى استصحاب الشموع معهم من بلدانهم إلى مكة؛ لإشعالها ليلة عرفة على جبلها، والمباهاة بين محامل الحجيج بذلك.

وقد اشتدت كلمة العلماء من الفقهاء والمؤرخين والرحالين وغيرهم في إنكارها، والتشنيع على فاعليها، والمناشدة بإبطالها، منهم: الطُّرطُوشي (ت) سنة ٥٢٠ في: «الباعث» ٦٩، والنووي (ت) سنة ٦٧٦ في: «المجموع» ٨/ ١١١، وابن رُشيد (ت) سنة ٧٢١ في: «ملْء العيبة» ٥/ ٨٨، وشيخ الإسلام ابن تيمية (ت) سنة ٧٢٨ في: «الفتاوى» و«مجموعة الرسائل» ٢/ ٣٧٨، والشاطبي (ت)

سنة ٧٩٠ في: «الاعتصام» ٢/ ٢٧٣، وعلي محفوظ (ت) سنة ١٣٦١ في: «الإبداع» ص/ ١٦٥، وإبراهيم رفعت باشا في: «مرآة الحرمين» ١/ ٤٧، وغيرهم.

وأكتفي بنقل كلام النووي، وابن رُشيد ـ رحم الله الجميع ـ:

قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: (فرع: من البدعة القبيحة: ما اعتاده بعض العوام في هذه الأزمان من إيقاد الشمع بجبل عرفة ليلة التاسع، أو غيرها، ويستصحبون الشمع من بلدانهم لذلك ويعتنون به، وهذه ضلالة فاحشة، جمعوا فيها أنواعاً من القبائح:

منها: إضاعة المال في غير وجهه.

ومنها: إظهار شعار المجوس في الاعتناء بالنار.

ومنها: اختلاط النساء بالرجال، والشموع بينهم، ووجوههم بارزة.

ومنها: تقديم دخول عرفات على وقتها المشروع.

ويجب على ولي الأمر ـ وفقه الله ـ وكل مكلف تمكن من

إزالة هذه البدع: إنكارُها. والله المستعان) انتهى.

وقال ابن رُشيد ـ رحمه الله تعالى ـ: (ورأينا في تلك الليلة عجباً فيما ابتدعته العامة، من الاستعداد، والاحتفال، بوقد الشمع طول تلك الليلة، بالجبل القائم في وسط عرفات، المعروف عند العرب القدماء بإلال، وهو جبل مرتفع، في أعلاه مسجد، تُنصب به رايات الأمراء، للركب، وقد صنع له درج بالبناء من أمامه ومن خلفه، فيرتقى إليه على طريق، ويُنزل من أخرى، وربما التقى فريق مع فريق، فَيَغُصُّ الجبل بالصاعدين، والنازلين، وهو يتأجج ناراً، ويتموج كالبحر زخاراً، والطرق إليه بالشموع في بسيط عرفات، كالسطور المذهبات، تتصل به من كل الجهات، وأنت إذا نظرت إليه على بعد من الخيمات، تراه كشعلة واحدة، وما يطول من الشمع كأنه ألْسُنٌ متعاضدة، فترى عجباً، صَلْداً عاد ذهباً، أو صار لهباً... بل هذه الحالة من قبيح البدع، التي يجب أن يزجر عنها فاعلها ويُردع.

وقد نَبَّه على ذلك الإمام الفاضل جمال الدين أبو عمرو

ابن الحاجب، الفقيه المالكي، وَبَيَّن قُبح هذه الحالة التي استحسنتها العامة، وبيّن ما أخطأ فيه الناس من أمر هذا الجبل، فقال ـ رحمه الله تعالى ـ: ومنها: إيقادهم النيران عليه ليلة عرفة، واهتمامهم لذلك، باستصحاب الشمع له من بلادهم، واختلاط النساء بالرجال في ذلك صعوداً وهبوطاً بالشموع المشعلة الكثيرة، وقد تُزَاحِمُ المرأة الجميلة بيدها الشمعة الموقدة كاشفة عن وجهها، وهذه ضلالة شابهوا فيها أهل الشرك في مثل ذلك الموقف الجليل، وإنما أحدثوا ذلك من قريب حين انقرض أكابر العلماء العاملين الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، وحين تركوا سنة رسول الله ﷺ) انتهى.

١٧ ـ **نصب رايات الأمراء**: تنصب رايات أمراء ركب الحجيج على مسجد في سطح الجبل. كما في: رحلة ابن رُشيد: «ملء العيبة» ٥/ ٨٧. ذلك أن الحج بعد انقراض القرون المفضلة، يَحُجُّ أهل كل قطر ركباً واحداً باسم: (المحمل) فيقال: حجاج (المحمل الشامي) وحجاج

(المحمل المصري) ويتباهون في ذلك.

قلت: وهذه عادة انقرضت بمحاملها، وراياتها ـ والحمد لله رب العالمين ـ.

١٨ ـ عزف الموسيقى والمزامير عند الجبل ساعة الانصراف: جاء في: «مرآة الحرمين» ١/ ٤٥ لإبراهيم باشا و«الرحلة الحجازية» لمحمد لبيب البتنوني ونقله عنه الكردي في: «التاريخ القويم» ٦/ ٤٥، عمل الحجيج لذلك عند الانصراف من الجبل، وأكتفي هنا بنقل ما في: «مرآة الحرمين» قال: (وقبل المغرب بساعة من يوم عرفة تحرك المحملان: المصري والشامي، أولهما يسار ثانيهما يتقدمهما أميراهما، وأمين الصرة، والجند يحيطون بهما، حتى وصل إلى سفح جبل الرحمة، في مكان صلب مرتفع قليلاً عن سطح الأرض، ووقف الخطيب على جمل بجبل الرحمة قريباً من سفحه، يحيط به العساكر، لمنع التزاحم عليه، ووقف بجواره مبلغان: مصري، وشامي، بيد كُلٍّ منديل يلوح به للحجاج، كلما سكت الخطيب، وساعةَ يلوحان ترى

الآلاف المؤلفة من الأجناس المختلفة، وقد كشفت منهم الرؤوس.. تراهم يستغيثون... ثم قال: وقد استمر الخطيب يخطب، والناس وقوف حتى مغرب الشمس، وإذ ذاك أشعل أحد رجال المدفعية من المِحْمَلَيْن شهاباً (صواريخ) إيذاناً بالانصراف من الموقف، فأفاض الناس مهللين، ومكبرين، ورحل المحملان: المصري في ميمنة الشامي، والجند يسيرون صفين، ومن بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم الحجاج، والموسيقى والمزمار يعزفان بالألحان المشجية، وأخذت مدافع الشريف، والوالي، والمحملين، تتناوب طلقات البشر والسرور) انتهى.

١٩ ـ الوقوف على الجبل في اليوم الثامن ساعة من الزمن احتياطاً: من المؤسف حقًّا أن يصدر استحسان هذه البدعة من العلامة الغزالي في كتاب: «الإحياء» وقال: (وهو الحزم) أي: خشية الغلط في الهلال، وهو استحسان مخالف للسنة، مفضٍ إلى الشك في العبادة، وتشكيك المسلمين بها، وهذا وسوسة وشغب، وبدعة عن الشرع بمعزل.

وانظر: «حجة النبي ﷺ» ص١٢٢ رقم ٧٠ للألباني.

٢٠ - التلويح بطرف الرداء أو بالمنديل للتلبية والتكبير:

مضى النقل مطولاً عن «مرآة الحرمين» وفيه الإشارة بطرف الرداء عند إرادة التكبير، والتلبية، وفي رحلتي ابن عبدالسلام الدرعي المغربي المتوفى سنة ١٢٣٩، كما في تلخيصهما للشيخ حمد الجاسر، بيان سبب حدوث هذه البدعة، وَتَسَنُّن العامة بعملها، اقتداءًا بمن فعلها من العلماء، جهلاً بمراده. وهذا ــ وأيم الله ــ مما يلفت الأنظار إلى أخذ الحذر في التصرفات، وأن تكون على وفق الهدي النبوي حتى لا يحصل اللبس على العامة.

جاء في ملخص الرحلتين المذكورتين ما نصه ص١٢٤: (ثم يممنا الموقف، فوقفنا راكبين، أسفل موقف النبي ﷺ عند الصخرات، وهو موقف الإمام اليوم، فشرع في التذكير، وهو حنفي طاعن في السن يُرجى له البركة، وجعل يُخلله بالتلبية، فكلما أراد أن يلبي، أشار بطرف ثوبه إلى الناس ليلبوا، فانقلبت بدعة، فصار غالب من في الموسم، يشير عند

التلبية بطرف ثوبه، أو ردائه، وربما اعتقد العامة أن الإشارة في ذلك بالثوب من السنة، وما يدري أنها بدعة، والناس عنها في سعة) انتهى.

وذكر الإشارة بطرف الرداء عند التلبية: البتنوني في: «الرحلة الحجازية» ونقلها عنه الكردي في: «التاريخ القويم» ٦/ ٤٥.

٢١ ـ **جعل الجبل هو الأصل في الموقف**: قال ابن رُشيد في رحلته: «ملء العيبة» ٥/ ٩٥: (قال الإمام أبو عمرو ـ أي ابن الصلاح ـ: وقد افتتنت العامة بهذا الجبل في زماننا، وأخطأوا في أشياء من أمره، منها: أنهم جعلوه هو الأصل في الوقوف بعرفات، فَهُم بذكره مشغوفون، وعليه دون باقي بقاعها يحرصون، وذلك خطأ منهم، وإنما أفضلها: موقف رسول الله ﷺ الذي سبق بيانه) انتهى.

وتقدم إنكار الأئمة على من اعتنى بذلك من الحجاج في: (المبحث الثالث).

٢٢ ـ **أداء الصلاة على الجبل**: من البدع المنكرة: قصد

أَداءِ صلاة تطوع أو فريضة عليه، وقد كان ذلك كما في: «رحلة ابن بطوطة» ١٨٤ قال: (وفي وسطها ـ أي قُبَّة أم سلمة على سطح الجبل ـ مسجد يتزاحم الناس للصلاة فيه، وحوله سطح فسيح يشرف على بسيط عرفات وفي قبليه جدار فيه محاريب منصوبة يصلي فيها الناس) انتهى. ونحوه في: «مرآة الحرمين» ١/ ٤٤.

قلت: لا وجود ـ بحمد الله ـ لهذا المسجد، ولا لهذه المحاريب، لكن قصد الصلاة عليه ما زال موجوداً خاصة من الأعاجم، وقد شاهدتهم هذا العام ١٤١٧ يصلون على سطح الجبل، مستقبلين الشاخص، والقبلة، وأخبر من أثق به أنه رَأَى أُناساً يصلون إلى الشاخص مستدبرين القبلة.

٢٣ ـ أخذ شيء من تراب الجبل.

٢٤ ـ والتمسح بالشاخص وتقبيله.

٢٥ ـ والصلاة إليه.

٢٦ ـ وقصد الدعاء عنده ورفع اليدين متوجهاً إليه الداعي.

٢٧ ـ والكتابة عليه.

٢٨ ـ والطواف به.

وكل هـذه بدع مُحـرَّمة، وقُـرَبٌ شيطانيـة مُسْتَشْنَعَة، وقـد يصل بعضهـا إلى حد الشرك، كمـا بينه العلمـاء، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ـ وتقدم بعض كـلامه عند الكلام عن (قبة آدم) ـ عليه السلام ـ.

٢٩ ـ ربـط الخرق : هذا عمـل مشاهد من بعـض حجاج الآفـاق يـربطـون الخـرقـة على الشجـر فـي عـرفـات، وعلى الحصيـات في جبـل عـرفـات، وهـو لأغـراض كـالحـال في (المناداة) و(الصبورة)، وكل هذا من البدع المحرمة.

٣٠ ـ وضـــع رسائل مكتـوبة فـي قصاصـات، وشيء من الشَّعَــر، والنقـود، والصــور، والخـرق المعقــودة في شقــوق الصخرات لاعتقـادات متعددة، كالـرجوع إليه مـرة أخرى، أو ليحج فلان، أو لشفاء مريـض، أو لِتَحْمِلَ امرأة لَمْ تَحْمِلْ بَعْدُ. وهكذا.

٣١ ـ الصَّـبُّـورة: شاهـــدت مـن بعض حجاج الآفاق،

وبخاصة من الشاميين ممن يعمل في المدينة وفي مكة ـ حرسهما الله تعالى ـ رِجْماً من حصيات، أو يصوب نحو مُدّ من تُراب عند المسجد النبوي الشريف، أو عند جبل عرفة، فلما سألت بعضهم؟ أجاب: بأنه ليحج هو العام القادم أو يزور، أو يعمله لمن أوصاه بعمل (صَبُّوْرة) عند الجبل، أو لشفاء مريض؟؟

وهذه بدعة سخيفة، لا أدري كيف تَوَلَّدت، وتعلق بغير الله، ووسيلة لم يأذن بها الله ولا رسوله ﷺ، وإلى الله المشتكى من غلبة الجهل، وضعف البصيرة.

٣٢ ـ المناداة لمن لم يحج: سمعت في بعض حجاتي من يرفع صوته قائلاً وهو عند الجبل: (الحاج فلان الفلاني) وهو بارد الشعور، فسألت بعضهم، فأفاد أن فلاناً أوصاه أن يُنَادِيَ باسمه عند الجبل، حتى يحج العام المقبل.

وهذا نداء فاسد، واعتقاد باطل، وعلى العبد اللجوء إلى ربه وسؤاله: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾.

الخلاصــــة

١ ـ أن هـذا الجبل ليــس لـه اسم سوى اسميـن: (جبل إلال) و(جبل عرفات) وما سواهما فأسماء محدثة.

٢ ـ هــذا الجبل لم يـرد له ذكـر في المـرويات من السنـة المشرفة حسب التتبع.

٣ ـ الإجمـاع على أن هذا الجبل لا فضيلة لـه تخصه، ولا يتعلق به نسك يخصه.

٤ ـ كثـرة ما تعلـــق بـه من البـدع والمحـدثات مـن بعد انقراض القرون المفضلة إلى الآخر.

٥ ـ شكـوى العلماء فـي قديم الـدهر وحـديثه مـن تعلق العامة به، وما يقع لقاء ذلك من وفيات، وإصابات، ومنكرات.

٦ ـ تم ـ بحمد الله ـ إزالة كثيـر من هذه البدع والمحدثات لاسيما في هذا العهد المبارك عهـد المملكة العربية السعودية ـ ثبتنا الله وإياهم على الإسلام والسنة ـ.

٧ ـ يجب رفع وسائل الإغراء بهذا الجبل، والتي تدعو بقوة وضعها إلى قصده، والتعبد عنده، وإن في إقرارها ـ كالدرج، والشاخص المنصوب على رأس الجبل ـ مساهمة في الإثم؛ لما يقع من وفيات، وإصابات، ومنكرات؛ لأنه إقرار للإغراء، وتغرير بالحجيج.

وللمثال فقد أحدث في الكعبة ـ شرفها الله تعالى ـ مسمار باسم: (سُرَّة الدنيا) فأزيل منذ قرون؛ لما وقع من الافتتان به، فليكن ماهنا كذلك.

٨ ـ الواقع الحاضر اتخاذه مزاراً على مدار العام، فالناس عليه ورداً، وإصداراً، وعلى رأسه، وفي سفحه، عدد من الباعة للمياه والمشروبات، والسُّبح، وما إلى ذلك.

ويحصل لقاء ذلك: تمسح به وصلاة عليه.. إلخ.

وهذه من أسباب الإغراء به ونشر الاعتقاد به في نفوس العامة في أقطار العالم. والله تعالى أعلم بأحكامه.

المؤلف

بكر بن عبدالله أبو زيد

الفهـــــرس